محددات السياسة الأمريكية تجاه العراق في عهد إدارة بايدن

واثق السعدون

إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن قد وصلت إلى البيت الأبيض في كانون الثاني/ يناير 2021, وهي تحت تأثير محددين مهمين فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية تجاه العراق, الأول هو تركة سلف بايدن (الرئيس دونالد ترامب) في الساحة العراقية, والثاني ميراث سياسة الرئيس الأسبق باراك أوباما تجاه المسألة العراقية, وبخاصة ان بايدن كان على رأس صانعي تلك السياسات.

المحدد الرئيس الثابت للسياسات الأمريكية، في أي مكان وزمان، وفي أي قضية دولية، يتمثل بالحفاظ على المصالح الأمريكية وحمايتها. فضلًا عن هذا المحدد الرئيس، فأن إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن قد وصلت إلى البيت الأبيض في كانون الثاني/ يناير 2021, وهي تحت تأثير محددين مهمين فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية تجاه العراق, الأول هو تركة سلف بايدن (الرئيس دونالد ترامب) في الساحة العراقية, والثاني ميراث سياسة الرئيس الأسبق باراك أوباما تجاه المسألة العراقية، وبخاصة ان بايدن كان على رأس صانعي تلك السياسات، بوصفه كان نائباً لأوباما خلال فترتي رئاسته 2009-2017. بعد شباط/ فبراير 2022 أضيف محدد ثالث، وهو تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية، وانعكاساتها على المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بعامة، والعراق بخاصة.

عندما غادر ترامب البيت الأبيض، كان هنالك ثلاثة مشاهد مهمة في بانوراما العلاقات الأمريكية العراقية، المشهد الأول هو تفاعلات الضربة الجوية الأمريكية قرب مطار بغداد في 3 كانون الثاني/ يناير 2020، التي أدت إلى مقتل الجنرال الإيراني قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس نائب رئيس الحشد الشعبي. تلك الضربة صعدت المواجهات الأمنية والسياسية في الساحة العراقية، بين الولايات المتحدة من جهة، وإيران والأطراف المسلحة-السياسية العراقية المتحالفة معها من جهة أخرى.

أبرز محطات تلك المواجهات في العام 2020, هي تصويت البرلمان العراقي في 5 كانون الثاني/ يناير على إلزام الحكومة العراقية بالعمل على انهاء الوجود العسكري الأمريكي على الأراضي العراقية. وفي الجانب العسكري كان الأخطر هو القصف الصاروخي الإيراني في 8 كانون الثاني/ يناير لقاعدة "عين الأسد" الأمريكية في الأنبار, وقاعدة أمريكية أخرى في أربيل, فضلاً عن قيام فصائل مسلحة عراقية مدعومة من إيران في 11 آذار/

مارس بقصف معسكر "التاجي" الذي تتواجد فيه بعض القوات الأمريكية. رد الأمريكان على ذلك الهجوم في 13 آذار/ مارس بقصف جوي لبعض مقرات ومستودعات تلك الفصائل في مناطق متفرقة من وسط العراق.

في تلك الأوقات توقع معظم المراقبين للأوضاع العراقية بتصعيد المواجهات بين الولايات المتحدة وإيران وأذرعها في العراق، فقد وصل الأمر آنذاك إلى درجة أن الهيئات الدبلوماسية الأمريكية أصبح من الصعب عليها أن تمارس عملها في بغداد، وانتقل الجزء الأكبر والمهم منها إلى أربيل في شمال العراق.

ولكن المشهد الثاني في العلاقات الأمريكية العراقية إبان السنة الأخيرة من عهدة ترامب، جاء بصورة غير متسقة مع توقعات التصعيد في المشهد الأول، حيث بدأت القوات الأمريكية منذ 19 آذار/ مارس 2020 بالانسحاب من قواعدها في وسط وغرب العراق، مثل قاعدتي القائم والتاجي، وتسليم تلك القواعد للقوات العراقية، فضلًا عن إعلان الأمريكان خفض عدد قواتها في قاعدة "عين الأسد"، والإبقاء على وجود عسكري محدود في شمال العراق.

أما المشهد الثالث، الذي جاء هو الأخر غير منسجماً مع التوترات الأمنية والسياسية بين الولايات

المتحدة والعراق في تلك الفترة، هو عقد جلسة الحوار الاستراتيجي بين البلدين في منتصف حزيران/ يونيو 2020، التي تمت بمشاركة مسؤولين رفيعي المستوى من البلدين. في تلك الجلسات تم الحديث عن جوانب عديدة لتنظيم مستقبل العلاقات والتعاون بين البلدين، في المجالات الأمنية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والصحية، كما تضمن ذلك الحوار وعوداً أمريكية كثيرة وكبيرة، بتقديم الدعم للعراق في كافة المجالات.

كان على إدارة بايدن التعامل مع هذه المشاهد المتداخلة، واستخلاص سياستها تجاه العراق منها، بعد عرضها على تقييم تلك الإدارة للمصالح الأمريكية في العراق. لم يطل الوقت حتى أصدر بايدن وثيقة "التوجيه المرحلي لإستراتيجية الأمن القومي" في آذار/ مارس 2021, التي احتوت على 23 صفحة، وتضمنت مقدمة ومحورين رئيسين وخاتمة، المحورين الرئيسين هما: المشهد الأمني العالمي، وأولويات الأمن القومي لدى ادارة بايدن.

في العادة تعلن الإدارات الأمريكية المتعاقبة لمواطنيها وللعالم من خلال هكذا وثائق الإطار العام للسياسة الخارجية التي ستتبعها. وعلى الرغم من أن هذه الوثيقة تحتوي على خطابات رسمية للإدارة، وبالتالي هي لا تعكس بالكامل ما يحدث في مراحل صنع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية، التي تتم معظمها خلف أبواب مغلقة، إلا أنها نوعا ما توفر بيانات مهمة في سياق تصورات الإدارات الأمريكية حول التهديدات التي تواجهها، والاستراتيجيات التي ستتبعها لمواجهة ذلك. لذلك يمكننا من خلال تسليط الأضواء على بعض المقتطفات من هذه الوثيقة، أن نتعرف على معالم توجهات إدارة بايدن نحو العراق، بوصف أن هذا البلد أصبح الساحة الرئيسة للمواجهة الأمريكية-الايرانية في الشرق الأوسط.

ورد في الصفحة 11 من هذه الوثيقة جمل مثل " سنعمل مع شركائنا الإقليميين لردع العدوان الإيراني والتهديدات للسيادة والسلامة الإقليمية", و " لكننا لا نعتقد أن القوة العسكرية هي الرد على تحديات المنطقة", و " يتمثل هدفنا في تهدئة التوترات الإقليمية وخلق مساحة للناس في جميع أنحاء الشرق الأوسط لتحقيق تطلعاتهم", وفي الصفحة 13 وردت جملة " سنواصل الدبلوماسية القائمة على المبادئ لمعالجة البرنامج النووي الإيراني وأنشطته الأخرى المزعزعة للاستقرار", وفي الصفحة 14 وردت جمل "سوف نتخذ خيارات ذكية ومنضبطة فيما يتعلق بدفاعنا القومي والاستخدام المسؤول لجيشنا, مع الارتقاء بالدبلوماسية كأداة لنا كملاذ أول", و "استخدام القوة العسكرية يجب أن يكون الملاذ الأخير وليس الأول. يجب أن تكون الدبلوماسية والتنمية وفن الحكم الاقتصادي هي الأدوات الرئيسية للسياسة الخارجية الأمريكية", وفي صفحة 15 ورد " لا ينبغي للولايات المتحدة أن تخوض- حروباً أبدية-، ولن تخوض مستقبلًا مثل هذه الحروب التي كلفت آلاف الأرواح وتريليونات الدولارات".

من جانب آخر، ورد في مواضع عديدة من هذه الوثيقة، تصميم إدارة بايدن على مواجهة مساعي الصين وروسيا، للإضرار بمصالح الولايات المتحدة في العالم بعامة، وفي الشرق الأوسط بخاصة، بالرغم من أن هذه الوثيقة قد صدرت قبل اندلاع الحرب الروسية-الأوكرانية.

من خلال الربط بين معطيات هذه الوثيقة وتحليل مضامينها، على ضوء محددات المصالح الأمريكية، وتركة ترامب في العراق، وإرث أوباما السياسي الذي تشبع به بايدن، وانعكاسات الحرب في أوكرانيا، يمكننا الاستنتاج بأن النهج العام لسياسة بايدن تجاه العراق يرتكز على العناصر الرئيسة الآتية:

1- استعادة زخم وفاعلية العمل الدبلوماسي الأمريكي في العاصمة بغداد, وهذا قد حدث بالفعل مع مجيء السفيرة الأمريكية الجديدة في العراق ألينا رومانوسكي في حزيران/ يونيو 2022. التي تقوم بجهد دبلوماسي كبير ملفت للنظر, فمنذ تشكيل الحكومة العراقية الحالية في تشرين الأول/ أكتوبر 2022 ولغاية الان, قامت رومانوسكي بالاجتماع مع رئيس الوزراء محمد شياع السوداني 10 مرات، فضلاً عن عشرات الاجتماعات مع الوزراء وباقي المسؤولين الحكوميين.

2- تَقَبّل واقع ان الحكومة العراقية الحالية, هي حكومة الإطار التنسيقي الشيعي المدعوم من إيران, مع إضافة بعض الوزراء من القوى السياسية الكردية والسنية, لإضفاء طابع التنوع من

جهة، ولتطبيق مبدأ المحاصصة السائد منذ 2003 من جهة أخرى. وعلى الولايات المتحدة أن تعمل مع الحكومة العراقية ضمن إطار هذا الواقع، للحفاظ على مصالحها في العراق.

3- تهدئة الساحة العراقية، واستبعاد الخيار العسكري لمواجهة إيران وأذرعها، وإبقاء المواجهة بينهما في مستوى ما دون الصراع المباشر، لضمان تدفق النفط العراقي لسوق الطاقة العالمي، وبالتالي ضمان عدم ارتفاع أسعار النفط، والتعويض عن الخيارات العسكرية بخيار الضغط الدبلوماسي من جهة، والإجراءات الاقتصادية التي تضيق الخناق على اختراق ايران ووكلائها في العراق للإقتصاد العراقي.

4- مكافحة أي مساعي من الصين وروسيا لزيادة نفوذهما في العراق.

5- ترويض الفصائل المسلحة المرتبطة بايران، ومحاولة بناء جسور للعلاقات بين واشنطن وبعض تلك الفصائل، وربما سنشهد وعوداً أمريكية لبعض قادة تلك الفصائل بشطبهم من قوائم العقوبات الأمريكية التي أدرجوا فيها خلال عهد ترامب، مثلما فعل بايدن مع الحوثيين، وذلك ضمن استراتيجية أمريكية تهدف إلى عزل بعض تلك الفصائل عن إيران، أو استخدامها كورقة ضغط وتهديد لبعض دول المنطقة، التي قد تتمرد ضد المصالح الأمريكية، مثل دول الخليج أو تركيا. واشنطن لها سابقة في ذلك، على سبيل المثال الولايات المتحدة رسمياً تصنف حزب العمال الكردستاني PKK بأنه منظمة إرهابية، ولكنها منذ عقود تقوم بدعم PKK والمنظمات المسلحة المنبثقة منها، مالياً وعسكرياً، لمناكفة تركيا والضغط عليها، في الوقت الذي يفترض أن تركيا والولايات المتحدة حلفاء في الناتو. ■

واثق السعدون: باحث وأكاديمي من العراق، حاصل على الدكتوراه في تاريخ العلاقات الدولية، مدير قسم الدراسات العربية في مركز أورسام.